

الفصل الخامس

الحجاب وستر العورة

هناك ضوابط أساسية في التربية الأنثوية ، منها الأدبى المجرد ، والمادى ... ، وكلاهما ينبع من أصل واحد هو المعتقد ذو المنهج السلوكى ؛ فمن هذه الضوابط : الالتزام بستر العورة ، والقصد منه (أمن الفتنة) وحماية المجتمع من شرورها وآثامها وصيائنه من مزالقها أو التردى فى ذرّكها .

وعورة المرأة جميع بدنّها ما عدا وجهها وكفّيها وذلك فى الاصطلاح الفقهى الشرعى ، فقد أثير عن رسول الله ﷺ أنه قال لـ « أسماء بنت أبى بكر » - رضى الله عنها - حين رآها فى ثياب رقيقة : « إذا بلغت الفتاة الحيض فلا يصح أن يندو منها إلا هذا وهذا - وأشار إلى وجهه وكفيه » .

وهذه الصورة هى التى تقف فيها الأنثى لأداء فريضة الصلاة بين يدى الله تعالى .

ويقول الله تعالى فى هذا الصدد : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾^(١) ؛ والخمار هو الغطاء الذى تجعله المرأة فوق رأسها وشعرها ، وهو غير الحجاب الذى يمنع الرؤية والبصر ، أو يخففه ، ومن ثم يخفى الوجه (أى يحجبه) . وحتى لا يبقى النحر مكشوفاً عارياً ، وكذلك العنق وما يلتف حوله من زينة الحلّى ، أمر الله تعالى بضرب الخمار على (الجنب) ، والجنب هو فتحة الثوب ما بين النحر والصدر ، أو أعلى العنق .

وليس من موضوع بحثنا الدخول فى جدل فقهى ؛ أو تحليل ... يحدد حدود الستر والحجب ، طالما أن أمن الفتنة الذى نعتبره إحدى وسائل حماية المجتمع من شرور التردى والانحراف والرذلة الجاهلية ، وهو الغرض المطلوب والهدف المتوخى .

والتربية الأنثوية فى أمن الفتنة هدف يحمى الفتى والفتاة على حد سواء ،

ولا يتوقف على نوع دون آخر ، ولا سبيل إلى إنكار ذلك ؛ وإلا دخلنا في
محاكاة جدلية يتحكم فيها باعثُ الهوى والغرض ، وليس المنطق وواقع التجربة .
هناك نوعان من الجمال : المصطنع المتحدّى السافر ، والطبيعى المحتشم
الملتزم .

أما المصطنع المتحدّى السافر فهو الظاهر المنتشر ، والأكثر عدداً ونفيراً ... ،
والذى نسمّيه (الفتنة المتحركة) ، فى الشارع ... والأندية .. والأماكن
العامة .. والصالونات ... فضلاً عن المسابح والشواطئ . هيكلته العامة : لباسٌ
يكشف أكثر مما يستر ، وزينةٌ ومساحيق ... وعطُورٌ تُشدُّ حاسة الشم من على
مسافات بعيدة ، وعُرى يشدُّ حاسة البصر فتكاد العيون تُخرج من محاجرها
مُشرّبةً ... ، واسترخاءٌ ولُيونةٌ فى نبرة الكلمة واللفظ ، حتى لتكادُ الحروف
ترقصُ تثنياً !!! وشعورٌ كأسنمة البُحْت^(١) قد لعبت بها أيدي المزيّنين !!!
و ... إلخ .

أما الطبيعى المحتشم الملتزم فهو الأقلُّ الأقل ... ، والذى درجت عليه منذ أميد
قريب بعضُ فتياتنا ، والذى نسمّيه (الزى الشرعى) ، لا يُلتفتُ إلى صاحبه إلا
قليلاً ، حيثما تواجدت ، سواء فى ميدان العلم أو العمل أو قضاء حاجة اجتماعية
وضرورة حياتية .

وهيكلته العامة : لباسٌ ساترٌ سابغ محتشم (وإن بولغ فيه أحياناً) ؛ ووجهٌ
خالٍ من أية زينة ، وعبارةٌ فى الحديث العام والخاص مُنتقاة ، ونبرةٌ كلمةٍ غير
مثيرة .

والنفسُ الإنسانية (البشرية) وقد رُكبت بين نزعتي الفجور والتقوى .
﴿ ونفسٍ وما سواها . فآلهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكّاها . وقد
خاب من دساها ﴾^(٢) تتأثر وتجيّش أمام هذين النوعين من الجمال ، البادين
للعيان .

(١) البُحْت : بضم الباء وسكون الخاء - الإبل الحراسانية والأسنمة : جمع سنام . وشبه الشعر بها فى
العلو .

(٢) الشمس : ٧ - ١٠ .

أما أولهما : وهو المصطنع المتحدى السافر ، فإنه يُحرِّك (طبيعياً) جانب الفجور في النفس ، ويثير كوامن الشهوة ، فتتقد كالنار المتأججة في الصدر ، وتمتد بالتالي سرياناً كاللهيب إلى كلِّ جارحة في الكيان .

وأما ثانيهما : وهو الطبيعي المحتشم الملتزم ، فإنه يلامس برفق وحنان جانب التقوى في النفس ويدعو إلى الإعجاب والاحترام والتقدير ، وهذه غلواء النزعة الحيوانية الفاجرة .

وإن ردود الفعل هذه على الذات الإنسانية والنفس البشرية واقعية ملموسة ، مدركة منطقاً وعقلاً ومشاهدة ، ولا مجال للمكابرة في مُغالطتها ... إطلاقاً .

ففى أى الجمالين نأمن الفتنة ونصون الفرد والمجتمع ؟ .
أو ليس من ضرورة التربية الأنثوية أن نعتد الأسلوب السليم والصراف المستقيم ، فنحفظ ديانا وآخرتنا ، ونكسب (الفضل) في الأولى والآخرة !!؟
استقراراً وازدهاراً على الأرض ، وثواباً في جنات عدن !!؟ .

وقبل أن أنهي كلمتي في هذا الصدد ، أودُّ أن أكشف لطيفة من لطائف الآية الكريمة ﴿ ونفس وما سواها .. ﴾^(١) الآية إذ يتصور أكثر الناس أن قوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾^(٢) ذو متعلقٍ فرديٍّ .. وهذا قصورٌ في إدراك المعنى العميق ، وسطحية في آختطاف الظاهر والتعويل عليه ..

نعم .. يُفلح من يزكها في (ذاتهِ) كما يحيب من يُدسيها ؛ وأيضاً ... يُفلح من (يحفظ) على الذات عدم إثارها وإهاجتها من الخارج ، كما يحيب من يُدسيها . فالمسئولية في أمن الفتنة وضبط النفس الإنسانية في إطار التزكية والفلاح تتمحور بين الخارج والداخل ، بين المؤثر والمتأثر - والله أعلم .

(١) سورة الشمس : ٧ .

(٢) سورة الشمس : ٩-١٠ .

العلم

لا نريد أن نرتد زمناً إلى الوراء ، فقد انقضت الحقبة التي تحجرت فيها بعض العقول والنُفوس وتصلبت في قُمُوم من الجهل والظلمة ، وخالفَتْ بالتقليد والعرف فريضةً من فرائض الذين المتعلقة بأطراد النمو الاجتماعي والتقدم الحضاري ، فأخذت بحجب (نُور العلم والمعرفة) عن الفتيات (أمهات المستقبل) ومقومات الأسرة ..

فها هي ذى المسيرة تأخذُ طريقها من جديد ، وتستأنف الوثبة ... ولكن أية وثبة ؟!!

يقول ﷺ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ »^(١) .
وأيضاً : أَيُّ عِلْمٍ ؟!!!

كُلُّ عِلْمٍ يَتَّفِقُ وَطَبِيعَتِهَا الْأَنْثَوِيَّةُ وَلَا يَتَنَاقِضُ مَعَ وَطَبِيعَتِهَا الْأَسَاسِيَّةِ ، وَأَوَّلُ الْعُلُومِ ضَرُورَةٌ : الْعِلْمُ الدِّينِيُّ الشَّرْعِيُّ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا أَذْنَى شَكٍ ، وَمَنْ تَمَّ عِلْمُ الْأُمُومَةِ وَأَصُولِ التَّرْبِيَةِ فِي مَخْتَلَفِ مَتَطَلِبَاتِهَا النَّفْسِيَّةِ وَالسَّلُوكِيَّةِ ، وَهَذَا بَعْدَ ذَلِكَ مَيْدَانُ الْعِلْمِ فَسِيحاً تَنْهَلُ مِنْ بِنَائِيَعِهِ مَا تَشَاءُ وَتَقْدِرُ ، مِمَّا يُوَهِّلُهَا لِحُوضِ مَعْرَكَةِ الْحَيَاةِ .

والوثبة المطلوبة لتدأرك الخلل القائم في بنية الأسرة والمجتمع ، يجب أن تكون مدروسة درساً وافياً ، تتعهدُ مَنهجها ووسائلها وغاياتها أيدي الخبرة والنوايا الطيبة ، حتى لا يكون من نتائجها الوقوع في مُسْتَنْقِعِ فِي الْوَحُولِ وَالْأَوْسَاحِ ، أَوْ فِي رَمَالٍ مَتَحَرِّكَةٍ ، أَوْ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا كَسْرٌ يَصْنَعُ جَبْرَهُ .

وإني أرى أنّ الأوان في ضبط هذه الوثبة لم يفتُ بعد ، وأنه لا يزال في الإمكان معالجة النقص وسدّ الثغرات ، والتوفّر على تنظيم المنهج العلمي العام للفتاة في مختلف التخصصات والاهتمامات والرغبات ، وتضمينه منذ المراحل الأولى

(١) ابن ماجة - مقدمة ١٧ . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مجلد ٤ صفحة ١٠ .

الأسس التربويّة التي تُوازن بين (كيانها) و (وظيفتها الطبيعية) ، وبين (فريضة العلم) .

ولعل فيما قدّمناه في فصل : (لماذا التربية ؟) على لسان العالمة : (ألكسيس كاريل) والدكتورة : (ماريون هيلارد) ، من نظريات استنتاجيّة بصائبة ، وخبراتٍ علميّةٍ واسعةٍ أُصدق الرؤية (العلمية) على نتائج خلو المناهج العلميّة من قواعد التربية الأنثويّة ، وما تركه ويتركه ذلك على الأسرة وعلى المجتمع من سوءٍ وخلل ... ، وهما (أى العالمة والدكتورة) من هُما في عقيدتهما الدينيّة وتقاليدهما الغربيّة !!! .

العمل

بين العمل ، كمبدأً وحقٌّ أساسي ، وبين الضرورة الملجئة إليه ، شوطٌ طويل من المعاناة والمشادّات والمناظرات ...

معاناةٌ نفسيّةٌ واجتماعيّةٌ ومادّيّةٌ بين الزوجين في أكثر الزيجات !! .
ومشادّاتٍ وخصوماتٍ تُقلّل من فرص استمرار العشرة والتوافق الحيّاتي ، وتؤثّر سلباً على الأبناء ..

ومناظراتٍ ما تزال تحتلّ مساحاتٍ شاسعةً من أجهزة الإعلام وحيزاً من الوقت وأعمار الناس على غير طائل ، وتُوحى بالشك الدائم في سلامة البنيان الاجتماعي .

فالعامل كمبدأً وحقٌّ أساسي من حقوق المرأة لا يُمارى فيه آثان ولا يتطّح فيه عنزان ، فهو من المسلّمات البديهيّة التي نصرّ عليها القرآن الكريم : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ ﴾^(١) . وجرت بها السُنّة النبويّة الشريفة ، وصدّقها الواقع التاريخي من خلال الممارسة ، ولقد ألمحنا إلى بعض الأسماء والأعمال التي زاوتها المرأة في العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين عندما تحدّثنا عن ذلك في فصل (نماذج إسلامية) .

(١) النساء : ٣٢ .

لكن العمل يأتي من حيث سلّم الأولويات في الدرّجة الثانية بعد الوظيفة الطبيعية للمرأة ، (وظيفة الزوجيّة والأمومة) ، حتى لا يكون هناك أذنى تعارض ، ولتستمرّ مسيرة الحياة في ربيع رُخو وانسجام وهناءة ؛ ولا بأس أن تُشير إلى تقسيم النبي ﷺ العمل الأسريّ بين « عليّ » و « فاطمة » - رضی الله عنهما - ف « علي » للعمل الخارجى ، و « فاطمة » لشئون البيت ..

ويجب أن نتوقّف عند ظاهرتين معاصرتين كلتاهما تجتث جذور غرسة التربية المعولّ عليها في الإزهار والإثمار ، وإغناء المجتمع ..

أولاهما : الانصراف الكلىّ أو الجزئىّ عن لبن الأمّ في الغذاء ، ولا مشاحة في أنّ هذه الطريقة (في الغذاء الأولى) تفصّم نفسياً وصحياً وبدنياً بين الأمّ وولدها ، وتقطع أواصر الصلّة (المبدئيّة) بين ذاتين كانتا إلى أمد قريب ذاتاً واحدة ... ، والمفترض أن تستمرّ هذه الصلّة !!!.

وتترك في هذا المجال الحديث المستفيض إلى أصحاب الاختصاصات ، الذين ما يفتشون يبيّنون وبمختلف الوسائل مساوىء هذه الطريقة في التغذية ، من الناحيتين الصحيّة والنفسية^(١) .

وثانيهما : التعويل - أيضاً - في الحضانة والتربية إلى (أمّ مُستأجرة) ليس في عملها من وظيفة الأمّ الأصلية إلا شكليات خالية من مضامين الحب والحنان والعطف ، وغيرها من (معذيات) النّفس ومقومات الروح .

وكان (الوليد) من خلال هاتين الظاهرتين أشبه بِطفلِ الأنايت الذى كثر الحديث عنه في السنوات الأخيرة ...؟! .

هنا - عزيز القارئ - نتذكّر عهود الجاهليّة الأولى في اعتبار المرأة مُستفراًغاً لقضاء الشهوة ، أو قضاء لبانتها هي من الرّجل ... ، أو اعتبارها مفرحاً للذريّة ؛ لا أكثر ولا أقل . ونساءل : أئى أسرة تنتظرنا بعد جيل أو جيلين ، وأئى مُجتمَع ؟

وإلا فلندرك قيمة التربية على حقيقتها ... ، والأمومة ؛ ولنجعل مبدأ العمل في حَجْمه وعند حدوده .

(١) تحدّثنا عن ذلك في كتابنا (أولادنا في ضوء التربية الإسلامية) مكتبة القرآن .

الاختلاط

من أخطر الأدوار التي تفتشت في مُجتمعنا الإسلامي المعاصر ، انفتاح باب الاختلاط على مصراعيه ، وبشكل هجومي عَشْوَائِي ، ثم استغراقه مساحة « ديموغرافية » ، واسعة في بيوتاتنا ، واستحكامه في النفوس والرعوس .

وتزداد خطورته فداحةً أنه تجلبب عند الأكثرين بجلباب « الحرية » و « التحضر » و « العلم » !!! ، وكلها شعارات تستفز الوجدان في الإنسان ، وتُسْثِيرُهُ لِيُواكب الرُكْبَ الزاحف حتى لا يُنْعَتَ بالنقيض ، من « العبودية » و « التأخر » و « الجهل » .

ولقد جرَّ هذا البلاء الطاريء على واقعنا الأسرى والاجتماعي مصائب لا تُحصى عدداً ، وويلاتٍ جعلته بعد وحدة وتماسكٍ بدداً ، وهزت بعنفٍ وشدةٍ القيم السامية والمفاهيم الجليلة التي تُسَيِّجُ حَرَمَ العِرْضِ والشرف ، وتصون اجتماع الجنسين على صراط المودة والرحمة ، لا اللذة العارمة والشهوة ..

ثم إنني حاولتُ من خلال عبارتي : (انفتاح باب الاختلاط على مصراعيه وبشكل هجومي عَشْوَائِي ...) أن أستدرك مقدماً ... ، إذ إن خروج المرأة من بيتها وحسب القواعد والضوابط الحائلة دون خطره وأذاه ، ليس مما يُنْكَرُهُ الإسلام أو يشجبه ، أو يسد منافذه ، أو يُقَمِّمُ من ثم (الأنثى) في حجر محجور ، ويكتم أنفاسها ... ، لأن ذلك تعطيل عن الحياة ، والحياة حق طبيعي ... أيضاً فالشَّرْعُ الحنيف فيما قَعَدَهُ من قواعد وحدّه من حدود بالنسبة لهذا الخروج لم يقصد طرفاً دون الآخر ، ولم يتوجّه إلى الأنثى ثم يُغفل الذكر ، بل اعتبر كلا التّوعنين هدفاً من أهدافه في حماية المجتمع .

كان خروج المرأة من بيتها في العهد النبوي قائماً موجوداً ، ولكن في حدوده الشرعية والعقلية ، بالإضافة إلى عنصر مهم جداً هو التربية التي تلبست الفرد المسلم قلباً وقالباً ، فعاشها في ذاته وكيانه ، في وجدانه وسلوكه .. ذكراً وأنثى .. والمسجد - أيها القارئ العزيز - ذروة مكان الاجتماع ولكن دون اختلاط ... ، فلقد كان للمسلمات المؤمنات العابدات (جناحهن) الخاص ،

وصفوفهنَّ الخاصة في العهد النبوي وبعده ، وما يزال إلى يومنا هذا في الحرمين الشريفين .

إن المسلمين والمسلمات يجتمعون لأداء فريضة الصلاة ، ولكنه اجتماع منظم لا يدعوا إلى ريبة ولا يُيسر سبيل فتنة ، ولعل الحج هو الشعيرة الإسلامية التي يترأى فيها الاختلاط ولكن الإسلام حرص على صيانة المرأة والحفاظ عليها . في جو بلغ فيه المسلمون الأولون حداً من التوقى ، وإشراق النفس ، ووضاءة الحس في الاحتياط من شبهات الاختلاط .

يُروى أن « عاتكة بنت زيد »^(١) - رضی الله عنها - ، وكانت من الصحابيات ذات دين وحُلقٍ وجمالٍ وفصاحة ؛ تزوّجت من « عبد الله بن أبي بكر » - رضی الله عنهما - وهو أمير المؤمنين ، ثم مات عنها شهيداً ، فتزوّجها « الزبير بن العوام » ، وكان غيوراً شديد الغيرة فلما ملكها قال : [يا عاتكة لا تُخرجي إلى المسجد !!!] ؛ وكانت امرأة عجزاء بادنة ؛ فقالت : [يا ابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مُصلّي صلّيت مع رسول الله ﷺ و « أبي بكر » و « عمر » فيه !!؟ قال : لا أمتنعك ...

فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأً وخرَج ، فقام لها في سقيفة بنى ساعدة ، فلما مرّت به ضربَ بيده على عجزتها ... ، فقالت : مالك ..؟! قطع الله يدك ثم رجعت .

فلما رجع من المسجد قال : يا عاتكة ما لي لم أرك في مُصّلاك ؟ قالت : يرحمك الله (أبا عبد الله) فسَد الناس بُعدك ، الصلاة اليوم في القيطون^(٢) أفضل منها في البيت ، وفي البيت أفضل منها في الحجرة [.

إلى هذا الحدّ من التوقى ، وإلى هذا الحدّ من إشراق النفس ووضاءة الحس في الاحتياط من شبهات الاختلاط بلغت عاتكة ... ، حتى في السّعى إلى المصلّى ، وأى مُصلّى ... ، إنّه المصلّى الذى كانت - رضی الله عنها - قد احتجّت بضرورة السّعى إليه متخطيةً رغبة الزبير وغيرته ، لأنها تُعترف فيه من بركة الرسول

(١) بنت « عمرو بن نفيل » وأخت « سعيد بن زيد » زوج « فاطمة بنت الخطاب » - رضی الله عنهم .

(٢) القيطون : الخدع : والبيت : مكان البيوتة والمبيت .

الأكرم ﷺ وبركة صاحبيه الشيخين - رضى الله عنهما - .

والصورة التي أوردنا ، وإن كانت فردية تتمثل في حادثة « عاتكة » إلا أنها تُعطي من حيث الواقع التاريخي عُمومية شاملة ، سيطرت على كَلِّ قطاعات المجتمع ، نابعة من ضمير الأحكام وأهدافها ، ومن إشعاعات التربية الذاتية التي تغلغلت إلى أعماق الناس ومرتت في عروقهم سرى الدَّم فطبعت بطابعها التنظيف السامى بيوتهم ومحافلهم .

ولا نُحب أن نتوسّع في عرض جوانب التشوّهات التي تُفسد علينا دُنيانا بسبب الاختلاط ، وتظهر في جسم المجتمع دماطل وققايع ، تحمل القنح والألم والخلقة المنكرة .. ، ولَعذاب الآخرة أشدّ وأكبر !!! .

والرّجعة المطلوبة حثيثاً إلى الضوابط ، تُفترض بمنطقية واعية وجدّية حازمة أن نأخذ بمبدأ الحدود الشرعية المعهودة في الاختلاط ، مهما قيل ...!! ولتتخذ من مقولة « عمر » - رضى الله عنه - عنواناً وشعاراً و ... دثاراً ، حيث قال :

[إننا لا نشتري رضى الناس بسخط الله تعالى] .

فإنّ ما يرضى الله سبحانه أن يستقيم خلُقهم على الصراط المستقيم ، فلا تزيغ بهم الأهواء أو تُضلّهم الفتن ويتبعوا غير سبيل المؤمنين .

اللباس

كُنّا قد عرّضنا لموضوع اللباس و (الرّى الشرعى) عند الحديث عن عورة المرأة ، وفصلناه بعض التفصيل .

وهنا نعرض لبعض الأمور ما يقتضيه المقام وضرورة البحث ؛ لأن الضوابط التي تحدّثنا عنها في بداية الفصل وأعتبرناها أساساً في التربية الأنثوية ، منها ما يتعلّق بالذات من الداخل ، ومنها ما يتعلّق بالخارج ..

والواقع أنّ الرّى يُعطى لصاحبه - أو صاحبه - حالة نفسية مُعينة ، سواء من ناحية شكله أو مادّة صنّعه ونسجه ، ولونه أيضاً .. ، ويؤثّر بالتالى على الرأى والمشاهد .

تقول بعض الدراسات النَّفسية الحديثة بأنَّ حُلِيَّ الذَّهَبِ ، خاتماً أو سِلْسِلَةً عنق أو يَدٍ ...، إذا ما اتَّخذها رَجُلٌ لِلتَّجَمُّلِ أو الزينة !!! تُعْطِي ذبذبات مُعَيَّنَةً تَوَثِّرُ في إضْعَافِ (الهرمونات) الذكوريَّة ، ويشتدُّ أو يضعف تأثيرها بحسَب الحجم والوزن ..

وكذلك الناعم الملمس من الألبسة ..

يا سُبْحانَ الله !!

ألا يَحْضُرُنَا هُنَا تَحْرِيمُ النَّبِيِّ ﷺ التزئين بالذهب للرجال ولبس الحرير !؟ منذ مئات السنين ، وقبل أن تَدْخُلَ النَّفْسُ الإنسانيَّة أَدْوَارَ التحليل والتجربة والاختبار !!

فالذهب أو الحرير إذا لم يُصَادَفَا في (الأُنثى) هرمونات (ذُكُورِيَّة) ، تفاعلا في ذَبَذبَتِهما مع (أُثُوثِها) وزادها رَقَّةً على رَقَّة .

ولكن أين ؟ ولماذا ؟

هنا نَحْبُ أن نتوقف مع موضوع الزى وقفة عقل ومنطق ، ولا نترك التساؤل يمضى في غير غاية ولا هدف .

إن الغرض الأساسي من اللباس هو السَّتر والدَّفء على الترتيب وليس العكس ؛ ولتَعُدُّ إلى « آدم » و « حواء » ...

لقد كان مقامهما في الجنة ...، حيثُ خاطب الله سُبْحانَهُ وتعالى « آدم » بقوله : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾^(١) مما يُوحى بِانعدام الإحساس البدني في تلك الحالة المرحليَّة ..

ثم عَصِيَا أمر الله تعالى وأكلا من الشَّجَرَةِ التي نهاهما عن الاقتراب منها ؛ فماذا حَدَّثَ ؟

يقول سبحانه : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ [الأعراف :

٢٢] ويقول : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ [طه : ١٢١] ؛ وإزاء هذا العُرَى الذي أصابهما في جَسَدَيْهِمَا بعد مخالفتها أمر الله تعالى وأحسنا بنوازع

(١) طه : ١١٨

البدن ﴿ طفقاً بمخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ ، لماذا ؟ ليواريا سؤاتهما ...
وليس بورقة التوت ، كما تزعم التوراة ولكن بـ (ورق) الجنة ، بصيغة الجمع
للدلالة على استغراق العورة أكثر مما يظن ويتوهم .

ولننظر بإمعان وتدبر إلى قول الله في موضع آخر ؛ ..

يقول سبحانه في سورة (الأعراف) ، الآية (٢٦) : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا
عليكم لباساً يوارى سؤاتكم وريشاً ﴾ .

فاللباس يوارى السؤاة ويتعدى حيز العورة ونطاقها ، كما أنه ما يتلبس البدن
والجسد كله ، إلا ما يعطل حركة العمل والرؤية ، وتأتي كلمة (الريش) بعد
هذا لتؤكد المعنى وتؤيده ، وتضيف إليه معنى آخر ومقصداً جديداً هو التدفئة ؛
فالريش يكسو جسده الطائر كله بلا استثناء ، وهو يحميه من البرد والزمهرير .
فإذا كنت أيتها الإنسان لا تدرى الهدف ، أو تعطلت لديك الرؤية السليمة
بفعل تشويش الهوى .. وجاذبية الحيوانية ، فإن في (ريش) الطائر لعبرة !!!
والزئى (شكل) اللباس ، تفننت أيدى الصناع في تصويره ورسومه وألوانه ،
ثم أضحي هو الغاية بعد أن كان الوسيلة ، وأستعبد الناس ..

لقد درجت منذ أعوام قليلة (موضة) : « الميني جوب » ...
وعجياً لأمر هذه (الموضة) !!؟

هل هي ضربة لازب ؟ أم قيد ، لا فكاك منه أو لا ينكسر !!؟

إن رجلاً مثل « كريستيان ديور » أو غيره ، أو سيده واحدة ... ، هم الذى
يصنعون (التصاميم) لكل شتاء وصيف ، ويبدلون ويختارون ، ثم يطلقون
(تقليعاتهم) ، فتأخذ طريقها إلى الأسواق ، فتلقفها الأيدي بشوق ورغبة
وتلهف ، ويقلد الناس بعضهم بعضاً .

من غير أن يتحرك فيهم عرق من منطلق أو مسكة من عقل ..

والدليل ...

أن (موضة) : [الميني جوب] استغرقت مساحة واسعة من قطاعات
المجتمع ، وتبعها فتياتنا وبناتنا ونساؤنا ... ، وإنك لتدهش دهشة بالغة حين ترى

إحدى اللواتي يرتدين هذا الزي تُغطى ما آنحسرَ من ثوبها عن ركبتيها بـ
(فوطه) أو (مندبل) أو أى شئ آخر ، حين تجلس ...

ونتساءل : ما الذى يَقْسِرُك على هذا الصنيع ؟! ترتدين [المبنى جوب]
تقليداً ، ثم تغطين !!! ما هذا التناقض الفاضح الذى يَحْكُم عليك لا لك ، إنَّه
يحكم ببلادة الحسّ والإدراك ، وقُصُور في الإرادة والوعى ، وإمعيّة تقضى
بالإعدام المقام على استقلالية الشخصية .

وهذه (الأزياء) .. تتحكّم فيها نزعة (الفتنة) الجاذبة ، أكثر من عنصر
(الأناقة) ، لأنها تعتمد على إبراز معالم الجسد ، ومواضع الإغراء منه ، خصوصاً
مع فصل الصيف حين يُحتجّ بالحرارة القائظة على التعرّى والتخفيف ، وكأنَّه
لا سبيل إلى الابتعاد إلا بالفتنة !! ووآد الحياء !!

ومما نراه مُستهجناً أيضاً في موضوع اللباس أننا نشاهدُ تناقضاً بيناً فلا نُحسّه ،
ثم لا نُدرك ماهيّة المغالطة فيه ..

من ذلك رؤية أمّ في الطريق العام وقد احتشمت في زيّها إلى حدّ ما ، أو
أكملت في رسميه الشرعى ، وإلى جانبها ابنتها مكشوفة الذراعين والتخر ، وعبثت
في شعرها يدُ المزيّن ، وبرزت مفاتن جسدها من ضيق ما تلبس أو شفافيته ...
إنّ آية أمّ وقد تجاوزت سنّ الخمسين - مثلاً - تدخّل في مرّحلة اليأس ، وهذه
في الاصطلاح الطبى تعنى انقطاع العادة الشهرية .. (اليأس) من الحمل ،
وآستجراًراً تعنى اليأس من الزواج إن كانت أيماً ..

والفتاة التى شاهدناها مع الأم هى مدعاة رغبة ... وفتنة ...
فأيهما أولى بالسنتر ؟ وأيها أولى بالزى الشرعى ؟! فضلاً عن طلبه في
كليهما .

فهلا أدركنا لزوميّة ضابط اللباس والزيّ الشرعى في المسئولية التربوية ،
ورعينا ذلك حق رعايته ، وعولنا بإخلاص وجدّية على الأخذ به حفاظاً على أسرنا
ومجتمعنا ، واعتمدناه قاعدة من قواعد النهوض !!.

الزينة

قرأت فيما يُشبه الإحصاء، في أوائل الخمسينات، عندما كانت (القاهرة) - عاصمة البلاد - لا تتجاوز المليونين من السكان، أن نسبة استهلاك أصابع أحمر الشفاه فقط ... قُدّرت بخمسة ملايين جنيه !!!؟؟.

ولا حاجة بنا إلى التعليق حول ازدياد عدد السكان، ومرور أكثر من ثلاثة عقود من السنين، ونسبة المستهلكين .. لنرى إلى أى مدى يُستنزف المال الذى هو شريان الحياة على ما لا طائل تحته من أدوات الزينة، وتنوعها الذى يزداد ويتكاثر، وتفتن في ابتكارها عقول ونفوس وأيدي الخبراء المتخصصين !!!.

وأى خبراء؟! إنهم - ولا شك - أعوان إبليس وجنوده المسحرون للإغراء والاحتلال .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا تَبْرَحْنَ بُرْجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ ^(١) .

في خطابٍ للمؤمنات المحصنات، القانتات العابدات ..، السالكات دُرب الحياة على بينةٍ من نور الإيمان والهدى، حتى لا تلتبس عليهن السبل فهن القدوة، والله تعالى يريدهن (معدن) خير، و (حصن أمان)، و (مؤئل) تقويم وإصلاح، يريدهن (زوجات) يعرفن حقوقهن وواجباتهن، و (أمهات) يرغبن بكل أمانة وإخلاص نبتة الحياة التى آتمين عليها، و (مربيات) لا يَغفلن عن دورهن في بناء كيان الأمة بناءً أصله في أعماق القلوب وفرعه في السماء، طيب الثمر، شهى الطعم، زكى الرائحة، باسط الظل، ممتد الثور .

يريدهن سبحانه عقلاً نيراً وعاطفة صافية صادقة، غير متأثرات بالزينة والزخرف، والبهرج الزائف الزائل .

ويريدهن على لسان رسوله المصطفى ، وحببه المجتبي ﷺ غير مُتَمَصَّصَات
ولا واشماتٍ ولا واصلات ...، وغير مائلاتٍ مميلاتٍ في الطَّرَقاتِ بَعُطُورِهِنَّ
الفَوَاحِةِ وكَعُوبِهِنَّ التي تَدُقُّ الأَرْضَ لِيَعْلَمَ ما خَفِيَ من زَيْتِهِنَّ ... وشُعُورِهِنَّ
التي هي كَأَسْنَامِ البُحْتِ !!!.

إنَّ الجاهليَّةَ الأولى ... وجاهليَّةَ القرنِ العشرين ، وكُلَّ قَرْنٍ تَطغى في
(الزينة) على (الحقيقة) سواءً في الصورة والحكم .

﴿ وَلَا يُدِينُ زَيْتُهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ... ﴾^(١) .

وكما هو عجيبٌ أمرُ المسلمين عموماً في تنكُّبِ شرعِ الله وأحكامه وهدايته ،
فإنه من الأعجب والأغرب أمرُ المسلماتِ على الخصوص ...

فالمرأةُ المأمورةُ أن لا تبدى زينتها إلا لزوجها بالإضافة إلى العناصر التي ذُكِرَتْ
في الآيةِ الكريمة ، كأنَّ في أذُنَيْها اليومَ وَقَرَأَ ...، فهي لا تتزيَّنُ إلا لغيرِ هؤلاء ،
فإذا أرادت الخروجَ من بيتها لأمرٍ ما أو لزيارةِ قامتِ إلى المرأةِ واصطبغتْ بكُلِّ
فتنةٍ ...، ومن الملاحظ أنها إذا كان خروجها لمجتمعٍ يَحْفَلُ بالجنسِينِ من الذكور
والإناث ازدادت زينةً ، (لتنافس) الأخريات ، ولتكون (أحظى) عند
الرجال ، إرضاءً لكبرياءِ غرورها الأجوفاً !!!.

أيها المسلمة : فتاةٌ كُنْتِ ، أو زوجةٌ أو أُمًّا ...

إن مجتمعك اليوم في وضعٍ عسيرٍ ومستقبلٍ خطيرٍ ، لا تتداركُه إلا يدك في
(التربية) والتوجيهِ وحُسنِ التخليقِ والتكوينِ لعناصرِ البناءِ .

